

التجديد الحضري للموروث المعماري في مدينة البصرة

أ. د. صلاح هاشم الاسدي
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم الجغرافية

المقدمة

أخذ التجديد الحضري للموروث المعماري حيزا مهما من اهتمام اغلب الاختصاصات التي تهتم بشؤون المدينة وواقعها العمراني باعتبار انه جزء من حضارة تلك المدن والتي لابد ان تعتز به وتجاهد في سبيل ادامته والمحافظة عليه بأساليب وطرق متعددة يضمن صمود هذه الابنية في وجه التغيرات البيئية التي تؤثر عليها مع تقادم الزمن، ولقد ادرك المسؤولون عن هذه الابنية اهميتها في اعطاء صورة عن ماضي وتاريخ هذه المدن وكان لابد من خلق نوع من الاستمرارية ولو بحدود معينة من خلال ايجاد طراز بناء يتناسب مع تاريخ المدينة مع المحافظة على هذا الموروث ، وبالرغم ان طبيعة هذه الابنية فرضتها قيم وعادات وتقاليذ كانت سائدة آنذاك الا انها تتحدث عن فترة مهمة في حياة المدن والتي يفترض ان نحافظ عليها وفق معايير واساليب عصرية .

ان عملية التجديد الحضري يعني الدخول في تنظيم ورفع مستوى الوضع المتردي للأبنية التراثية ومجمل الاوضاع في المنطقة التي تحيط بها مثل استعمالات الارض كطرق المواصلات والمناطق الخضراء والبنى التحتية وخلق مراكز تسوق وترفيه في هذه المناطق بما يؤمن من ايجاد مناخ بيئي ملائم لإعادة الحياة الى تلك الابنية التراثية ، كما ان من اهم فوائد التجديد الحضري للموروث المعماري هو تحسين الاجزاء القديمة للمدن وجعلها تتناغم مع الواقع المعماري الحالي وبالرغم من المبالغ الكبيرة التي ستصرف على التجديد الا ان مردودها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي كبير ايضا وهو ايضا يساهم في عودة النشاط السياحي والتجاري لها ويساهم بشكل مباشر في تنمية المناطق المجاورة وزيادة الترابط بين سكان المدينة نتيجة التواجد في هذه المناطق وخلق روح العمل الجماعي خدمة للمدينة .

مشكلة البحث

ان الذي يتابع اوضاع الابنية التراثية في مدينة البصرة يشعر بالحزن والاحباط لما آلت اليه هذه الابنية من تدهور في جوانبها المعمارية وهي بذلك عانت من الاهمال بسبب غياب الدراسات الأكاديمية التي تبحث في هذا المجال وعدم اهتمام المسؤولين عن المدينة بذلك الموروث المعماري .

هدف البحث

البحث لا يريد الدفاع عن الكيان المادي فقط لهذه الابنية بل الى صيانتها والدفاع عن طراز واسلوب البناء في هذه المدينة .

منهجية البحث

اعتمد البحث على الجوانب النظرية التي تناولت حالات مشبهة في دراسة الابنية التراثية وفي الجوانب التطبيقية وهي الدراسة الميدانية للتعرف على واقعها المعماري والتدهور الذي اصابها جراء التغيرات الطبيعية والبشرية وكذلك جمع البيانات والصور عن هذه الابنية ووضع مخطط خاص بطرق معالجة تلك الابنية المتدهورة والمحافظة عليها .

فرضية البحث

ان غياب الاهتمام بالموروث المعماري وعدم الشعور والادراك بخطورة الاهمال سواء من الجهات ذات العلاقة وسكان المدينة على حد سواء والتي ادت الى اهمال هذا الموروث بشكل يهدده بالاندثار .
يعد التراث المعماري من اهم المصادر المادية المتوفرة على نطاق المدينة والتي اعطت لنا معلومات تفصيلية عن طبيعة ذلك التراث في مدينة البصرة وتحدد في ذات الوقت طبيعة الحياة الانسانية الاجتماعية منها او الاقتصادية في تلك الحقبة من زمن المدينة كذلك هو مصدر من مصادر الاحساس بالجمال واشباع للعاطفة في ربط الحاضر بالماضي ويعطي مصداقية للتفكير والتحكم كما ويتيح تجربة التنوع الثقافي والتعرف على المخزون التكنولوجي والخبرات الفنية والتقنية العلمية وتطوراتها ، وللتراث المعماري قيم اقتصادية وعملية كالأماكن الترفيهية والاسواق التجارية والمساكن ، كما ان الموروث المعماري يساهم بشكل من الاشكال في بناء القيمة المكانية للبيئة التي تتواجد بها كونه يمثل بيئة تاريخية تشكل مرحلة من مراحل نمو المدينة الحضري وتطورها المعماري .

ان كل بيئة عمرانية في أي مجتمع لها تقاليد وافكار ورؤى خاصة بها ترتبط بجملة من العوامل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والمناخية السائدة في ذلك المجتمع والسؤال الذي يتبادر الى اذهاننا هل نحافظ على التقاليد المعمارية كما هي ام تركها وهذا يقودنا الى جلب افكار معمارية مستوردة مع مواد بناؤها وكل التقنيات المرتبطة بذلك واعتقد اننا يجب ان نركز على قواعد عملية في مواجهة هذا التناقض

بين الحالتين ، فهناك من يتنكر الى الماضي والتراث المعماري ومنهم من يصر على تقليده وفي كلا الحالتين لا يمكن الاخذ برأيهما لان التنكر للماضي بكل تفاصيله يعني فقدان الهوية المعمارية واللجوء الى التمسك بها يعني فقدان متطلبات العصر الحديث ونحن هنا نحاول ان نقدم حولا مناسبة ويتطلب هذا النهج طرح محاكاة او محاكاة للثقافات الاخرى وتشجيع مبدا الاجتهاد كقاعدة ومنطلق فكري في مواجهة هذه الجدلية التي شغلت بال كثير من الباحثين في هذا المجال وادركوا ان الاهتمام بالموروث المعماري هي حالة مطلوبة ولكن اسلوب التعامل مع الموروث يختلف كل حسب وجهة نظرة وخلفيته والفكرية والاكاديمية .

ومدينة البصرة من المدن التي تمتلك موروثا معماريا جدير بالدراسة والاهتمام وهو جزء لا يتجزء من الارث الحضاري لهذه المدينة العريقة ويتمثل هذا الموروث بعدد ليس بالقليل من الدور السكنية (الشناشيل) والأبنية العامة ودور العبادة والحمامات والاسواق التجارية والمدارس وهي بحد ذاتها شكلت بمجموعها معلم من معالم البصرة (خارطة ١) .

الخريطة (١) موقع مدينة البصرة من محافظة البصرة



UTM WGS 1984

المصدر : عمل الباحث بالاعتماد على شعبة نظم المعلومات الجغرافية ، محافظة البصرة ، ٢٠١٠ .

استعمالات الارض التراثية المعمارية في مدينة البصرة

تتضمن مدينة البصرة خليطاً من الشواهد المعمارية التي تمثل استعمالات الارض القديمة فيها ويتباين هذا الخليط من حيث العمر الزمني وطراز البناء وامكانيته بالاستمرار وصلاحيته للبقاء ولا بد ان نعي هنا الى مسألة مهمة جداً انه ليس كل قديم او موروث معماري يكون صالحاً للبقاء ويجب المحافظة عليه وصيانيته فهناك الكثير من الابنية الموروثة ينبغي ازالتها لأسباب عديدة منها تداعي هذه الابنية مما يجعلها عرضة للسقوط في اية لحظة وبهذا يكون وجودها خطر على سكان المدينة ومرتاؤها وهناك ايضا دور ومؤسسات تجارية وخدمية ذات طراز بسيط تدل على الامكانيات الاقتصادية المحدودة لأصحابها وهي لا تستحق ان تكون جزءاً من الموروث المعماري للمدينة ، والمدينة تتكون من بيئة

حضرية ذات نسيج متباين ومعقد من الأنشطة والفعاليات والتي تحتل مواضع خاصة بها عاكسة بذلك تأثير مجموعات مختلفة من العوامل والقوى والتي تحدد تواجدها (ابو عياش ١٩٧٩ ص ٧١) .

١- الدور السكنية (الشناشيل)

ان تجديد الدور التراثية والتي تتصف بطراز معماري خاص (الشناشيل) هو الحفاظ على الطابع التاريخي والمميز لهذه المدينة التي ظهرت في العهد العثماني المتأخر حيث لم نجد في كتب المؤرخين والرحالة الذين قدموا الى البصرة اية اشارة الى الشناشيل قبل القرن التاسع عشر (العزاوي ، ١٩٧٧ ص) وهذا يشير الى ان هذه الدور قد ظهرت وتطورت خلال تلك الحقبة الزمنية المشار اليها ، وعند ملاحظة هذه الدور وبخاصة في منطقة البصرة القديمة نجد ان الطراز المعماري الخاص بها والذي يعطي جانب جمالي وتراثي واضفى على المنطقة طراز معماري مميز بكل ابعاده ويظهر من خلال الدراسة الميدانية التي قام بها الباحث ان هناك تباين في طراز البناء يهذه الدور وهذا يشير الى حالة التنافس بين اصحاب هذه الدور وهم وجهاء مدينة البصرة ويظهر ايضا تأثير موقع المدينة ومركزها الاداري والتجاري واضحا في طراز البناء من حيث التوافق بين مادة البناء وهي الخشب كمادة اساسية والطابوق وتشكيل تلك المواد بما يحقق الجمالية المطلوبة للدار السكنية ودلالة على المكانة الاجتماعية والاقتصادية (حسين ١٩٧٦ ص) كما ان هناك تقارب بين الدور السكنية حيث تلتقي شرفاتها المتقابلة مع بعضها البعض في كثير من الاحيان بحيث يصبح الزقاق في بعض الاماكن كالنفق الضيق (حسن ١٩٩١ ص) وقد بلغ عدد هذه الدور من هذا الطراز ١٠١ دارا في منطقة البصرة القديمة في حين ان هناك ٥٦ دار سكنية موزعة في مناطق متفرقة من مدينة البصرة (خارطة ٢ والصورة ١) .

ان ما يميز هذه الدور هو الطراز المعماري الغير تقليدي سواء في المظهر العام (الواجهة الامامية او في الداخل حيث يلاحظ وجود الفناء الداخلي (الحوش) والذي تلتف حوله الدار السكنية بكل محتوياتها وهو من وجهة نظر المعماربيين حلا مقبولا في تلك الفترة لأسباب اجتماعية ومناخية فمن الناحية الاجتماعية يحفظ خصوصية العائلة كون ان هناك مدخل للدار السكنية شبة مغلق لا يؤدي الى الكشف عن الساكنين في الدار وبعد ذلك يدخل



الى فناء الدار الداخلي ، فيما يخص الجانب المناخي فيتعلق بطبيعة البناء التي توفر حركة للهواء الداخلي مما يساعد على تلطيف جو الدار وهو بذلك احدث نوع من الملائمة الحرارية في ذلك الوقت الذي يفتقد الى الادوات الحضارية الموجودة حاليا من وسائل التكييف والاضاءة وغيرها وكان من وسائل مواجهة حرارة الصيف العالية هو وجود الشبابيك الخشبية التي تحتوي على فتحات لدخول الهواء مع وجود جدران سمكية للاحتفاظ بجو ملائم في الدار السكنية وهناك ايضا السرايب (طابق تحت الارض) والذي يساعد على الملائمة المناخية ، هذه الافكار التصميمية التي ظه
رت قبل اكثر من ٣٠٠ سنة من الممكن الاستفادة منها عند ايقاع الدور السكنية في الوقت الحاضر سواء في الجانب الجمالي في الواجهات الامامية او في بعض العناصر الداخلية للدار السكنية وهناك بعض الدور السكنية الحديثة التي استنبطت من الشنايل افكارا لها عند التنفيذ .

٢- دور العبادة

شكلت دور العبادة بمختلف اصنافها ابنية ذات طابع معماري وتراثي مميز وهو يتناسب مع المكانة الروحية والدينية لها وقد بذل المعماريون جهودا كبيرة لا يصلح هذه الابنية الى تلك المستويات من الابداع في مجالي طراز ومادة البناء . ويعد جامع الكواز من الابنية التراثية الذي ما يزال محافظا على طراز بناء رغم التغيرات البسيطة التي جرت عليه نتيجة لتأثره بالعوامل المناخية وقلة عمليات الصيانة فقد بني هذا الجامع عام ١٥١٢م (صورة ٢) وتلاه جامع العرب في عام ١٥٨٠م (عبد الوهاب ١٩٩٢ ص ٧٣) وهما

صوره (٢)

جامع الكواز في منطقة البصرة القديمة

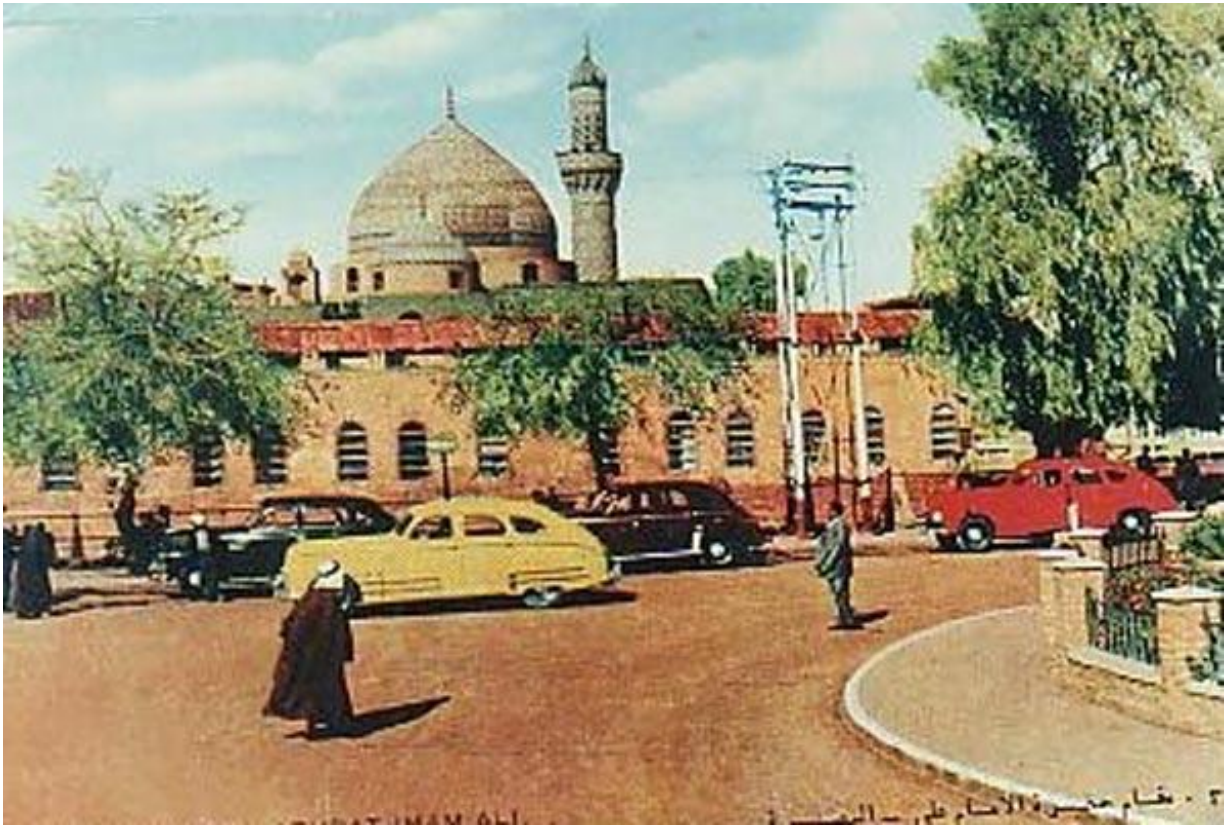


يعدان نواة مدينة البصرة الحالية بعد انتقالها من موضعها القديم عند مدينة الزبير وليمتد العمران بين هذين الجامعين ومع نمو المدينة تم بناء مسجد (النبهاني ١٩٨٠ ص ١٠٧) الى جانب مقام علي الرضا وهو ذو طراز معماري مميز في كافة تفاصيله من مادة البناء والفناءات الموجودة فيه وقد بني من قبل محمد الششتري (صوره ٣) وتوالت بناء الجوامع في عموم مدينة البصرة وبالذات في منطقة البصرة

القديمة فقد بني جامع ذو المنارتين والقبلة وغيرها حيث انقل البناء الى منطقة العشار بعد انحسار دور منطقة البصرة القديمة في التجارة وكمركز للحكم آنذاك اما دور العبادة الاخرى فهناك مجموعة ليست بالقليلة من الكنائس ذات الطابع المعماري المميز ويمكن الاستشهاد ببعض منها حيث بلغ عددها في مدينة البصرة ١٦ كنيسة ودير وهي ذات طابع تراثي تلبي حاجات الطائفة المسيحية في المدينة وهي ذات دلالات تاريخية حول اعداد المسيحيين في مدينة البصرة بمختلف طوائفهم

صوره (٣)

جامع محمد الششتري في منطقه مقام علي الرضا



في المدينة التي تعد ملتقى الحضارات (صورة ٤) وتجدر الإشارة الى ان كنيسة الارمن الأرثوذكس و

صوره (٤)

كنيسة مريم العذراء



كنيسة مريم العذراء من اقدم الكنائس التي بنيت في المدينة عام ١٧٣٦ والواقعة في البصرة القديمة وهي ذات طراز معماري فريد ولا زالت قائمة لحد الان وتستقبل المصلين وممارسة الطقوس الدينية المختلفة ومن دور العبادة الاخرى في المدينة (مندى الصابئة) وهو بناء تقليدي يقع على نهر الرباط كما وتوجد في المدينة دار عبادة تأريخي ولكنه مهمل في الوقت الحاضر ويقع خلف جامع مقام علي وهو بيت التوراة للطائفة اليهودية وذو طراز معماري مميز (صورة ٥) .

صوره (٥)

بيت التوراة في منطقة مقام علي الرضا (ع)



٣- الاسواق القديمة

كان للأسواق ولازال دورا في ديمومه الحياة الاقتصادية للمدن كونه عامل لجذب السكان المحليين وسكان المناطق المجاورة ويزداد البعد الاقليمي لها مع تطور طرق ووسائل النقل ولقد تتاغت هذه الاسواق مع الطراز المعماري السائد في تلك الفترات الزمنية من عمر المدينة ومن ابرز هذه الاسواق في مدينة البصرة وهي ذات طابع تراثي وهوه سوق المغايز (سوق الهنود) عام ١٨٦٩م وسوق العطارين في منطقة العشار وسوق العقيل في منطقة البصرة القديمة وهي اسواق مسقفة تحمي المارة والمتسوقين في فصلي الصيف والشتاء على حد سواء كما يظهر لدينا سوق يمتاز بوجود القباب في العشار والذي يشغله حاليا مجموعه من النجارين وبعض اصحاب الحرف (صورة ٦) والتي تظهر بها ساعه سورين التي هدمت لغرض توسعه المدخل الى السوق.

(صورة ٦)

سوق المغايز (سوق الهنود)



٤ - الحمامات

امتازت مدينة البصرة بكثرة الحمامات العامة والتي تلبي حاجة السكان بسبب توفر الخدمات العامة فيها وانخفاض مستوى الاجور مع وجود حمامات خاصة للذكور واخرى للنساء وفي بعضها يحدد يوم او يومين للنساء من كل اسبوع وهي حمامات تمتاز بطراز معماري يحاكي طراز الابنية في كل مرحلة من مراحل تطور المدينة ، ومن اشهرها حمام الحسيني الذي يقع في منطقة العشار عند سوق العطارين (صورة ٧) وحمام الحيدري عند سوق الخضار كما توجد حمامات في منطقة البصرة ومن اشهرها حمام السيف وقد امتازت هذه الابنية بخصوصية معمارية تتناسب الغرض منها وتحقق اعلى درجة من الراحة لزيائنها ويتكون الحمام بشكل عام من ثلاثة اجزاء الاول صاله كبيرة لتغيير الملابس تحتوي على مساطب

للجلوس ودواليب لحفظ الملابس اما الجزء الاخر فهو مرحلة انتقالية الى الحمام الحار الذي يمثل الجزء الاخير ويضم بداخله قاعه كبيرة تتوسطها سامة دائرية الشكل مرتفعة بحوالي نصف متر عن الارض مركز حرارة الحمام وهناك غرف معزولة او مفتوحة للزبائن وقد بني حمام الحسيني في بداية عام ١٩١٣م.

صورة (٧)

الحمام الحسيني في سوق العطارين في مدينة البصرة



٥ - المباني العامة

وهذه تتضمن مجموعه من الابنية ذات الطابع التراثي المنتشرة في عموم مدينة البصرة وقد بقيت الغالبية العظمى محافظا على طرازه التقليدي العام والذي يتناغم مع مرحلة بنائه، ويمكن الاشارة الى بعض من هذه الابنية فقد احتلت بناية مدرسة المريد الابتدائية (بناية القشلة سابقا) وهي مركز للإدارة المحلية آنذاك موقعا في وسط مدينة البصرة والتي بنيت في عام ١٩١٨م ، فهناك المستشفى الجمهوري او ما يسمى مستشفى البصرة العام (مستشفى مود سابقا) والذي جرى بنائه في عام ١٩١٦م وجرى عليه الان بعض التحويلات ، وقد ظهرت بعد ذلك بناية الاعدادية المركزية والتي بنيت في عام ١٩٢٠م (صورة ٨) كما تتواجد بناية تراثية لازالت محافظة على طرازها المعماري وادائها الوظيفي الا وهي بناية المؤسسة العامة لموانئ العراق والتي تقع في منطقته المعقل والتي بنيت في عام ١٩٣١ اما فندق شط العرب والذي لا زال متواجدا في منطقة النجيبية عند مطار البصرة سابقا فقد جرى بنائه في عام ١٩٣١م (صورة ٩). كما أن هنالك بنايه المؤسسة العامة للموانئ العراقية التي لا زالت تستخدم للوقت الحاضر. (صوره ١٠).

ان الابنية المشار اليها في دلالات معمارية على طابع وطراز مميز استطاع ان يصمد طوال هذه المدة بالرغم من الاهتمام نوعا في بعض تلك الابنية والاستخدام المستمر لها ويمكن ان نستفيد من طراز الابنية في توجهاتنا المعمارية الحالية.

صوره (٨)

الأعدادية المركزية في العشار



صوره (٩)

فندق شط العرب في منطقه النجيبه



صوره (١٠)

بنايه المؤسسه العامه للموانئ العراقيه في المعقل



العوامل التي تؤثر في الابنية التراثية القديمة
تعرضت الابنية التراثية الى جملة من العوامل التي ادت بها الى الاندثار او تعرضها للهدم
مما يتوجب ان تواجه هذه العوامل من قبل الجهات المعنية للمحافظة عليها وقبل الحديث
عن طرق صيانتها لابد ان نستعرض تلك العوامل (مخطط ١)

مخطط (١)

العوامل المؤثرة في الابنية التراثية في مدينة البصرة

١- العوامل المناخية درجات الحرارة

الامطار

الرياح والعواصف الغبارية

٢-العوامل الاقتصادية تدني مردودها الاقتصادي

الحاجة الى تنوع الاستخدام

زحف المناطق التجارية

٣-التطورات المعمارية الحديثة دخول افكار معمارية جديدة

خطة لتطوير مدينة البصرة

البناء العمودي

٤ - سوء الاستخدام عدم وجود الصيانة

استخدام مخالف لتصميم البناية

اجراء تحويلات اثرت على الهيكل العام للبناء

ازالة اجزاء عديدة من البناء ليواكب الاستخدام الجديد

١-العوامل المناخية

ادت العوامل المناخية من ارتفاعا لدرجات الحرارة والامطار والعواصف الغبارية دورها في مدينة البصرة بشكل عام وعلى الابنية التراثية بشكل خاص والتي افتقدت وبشكل مستمر الى عنصر المتابعة ومواجهة هذه الظروف بما يكفل استمراريتها وبقائها كشخص تراثي يدل على حضارة الامة وتطورها المعماري. ان ارتفاع درجات الحرارة في فصل الصيف بشكل كبير وملحوظ ادت الى تغيرات في خواص مادة البناء وبخاصة في الواجهة الامامية المصنوعة من مادة الخشب التي هي اكثر المواد تأثرا بدرجات الحرارة العالية مما ادى الى تآكلها وبالتالي تعرضها للتلف مع وجود الرياح ادت الى تساقط وتناثر اجزاء منها على فترات زمنية متعاقبة بالإضافة الى الامطار التي ادت الى هدم وتدمير عدد كبير من هذه الدور وخصوصا الغير مسكونة او المستخدمة بعد ان قامت مديرية الآثار العامة بالسيطرة عليها باعتبارها جزء من الموروث المعماري والحضاري للمدينة الا ان تقادم الزمن عليها وتأثير العوامل المناخية ادت الى ان يشكل البعض خطرا على سكان المدينة مما ادى بالجهات المسؤولة بأصدار اوامر الهدم وخصوصا ان عملية الترميم واعادة البناء لم تتم بالشكل المطلوب.

٢ - العوامل الاقتصادية

لقد اصبحت هذه الدور وبمواقعها المختلفة وضمن النسيج العمراني للمدينة ومع تقادم الزمن عليها ذات مردودات اقتصادية متدنية لا تلبي الوضع الاقتصادي القائم ولا تدر الاموال المطلوبة لأصحابها وبذلك جرت ازالة اغلب هذه الدور والابنية لتتحول الى مؤسسات تجارية وخدمية وسكنية ذات اغراض متعددة وبعده طوابق لتصبح ذات مردود اقتصادي مجزي نسبيا وبقيت الدور والابنية التابعة للدولة وبمؤسساتها المختلفة كدور الاوقاف او التابعة للإدارة المحلية او لجهات اخرى في المحافظة . ان تأثير هذا العامل كان ذو جوانب سلبية افقدت المدينة الكثير من المعالم التراثية فيها.

٣ - التطورات المعمارية الحديثة

ان جوانب التطور كما هو معلوم يضم مفردات كثيرة في حياه سكان المدن ويدخل الجانب المعماري احدى هذه الجوانب المهمة فمعا التطورات العالمية في مجال البناء ودخول افكار معمارية جديدة واكبت

العصر فانه من المؤكد ان يتأثر المعماريون بهذا التطور وبخاصة ان الابنية القديمة لم تعد تواكب هذا التطور بسبب الاستخدامات الجديدة للأبنية والحاجات المتعددة فكانت الدور ضمن المنطقة التجارية المركزية C.B.D هي اكثر المناطق تأثراً في هذا الجانب وظهر جلياً في زحف الابنية الحديثة على محلات الصالحية والبجاري ومقام علي والتي تعود ملكيتها للقطاع الخاص كما جرى هدم ساعه سورين ذلك البناء الجميل الذي يمثل احدى معالم البصرة البارزة ومبنى البنك التجاري العربي وغيرها ،بالإضافة الى ان بعض الجهات الحكومية قامت بهدم عدد كبير من هذه الابنية في مقام علي بهدف تطوير المنطقة استناداً الى خطة (Max Lock) في تطوير مدينة البصرة .

ان ظهور الافكار المعمارية الجديدة والقادمة بفعل عوامل التبادل والتفاعل مع الثقافات الاخرى اثر على موروثنا المعماري وافقدت المدينة الكثير من الابنية التراثية بعد ان عملت عوامل عدة في الرضوخ للأمر الواقع والاستسلام بهدمها (ابراهيم ١٩٨٧. ص ٥٨-٩).

٤- سوء الاستخدام

كان من اسباب هدم او سقوط العديد من الابنية وضمن فترات زمنية متعاقبة هو سوء الاستخدام من قبل الجهات المستفيدة منها فلم تقم بأجراء عمليات الصيانة المطلوبة او ان استخدامها لأغراض تختلف عن ما هي مصممة اصلاً عليها كاتخاذ بعض الدور السكنية مصانع للمواد الغذائية او ورش لتصنيع بعض السلع او مخازن لحفظ المواد وبهذا فقدت هذه البنية جزء كبير من مكوناتها او الغرض الذي انشأت من اجله فقد جرت عدة تحويلات داخل هذه الابنية لمواكبة الاستخدام الجديد مما تطلب الامر ازالة بعض الجدران او تغيير واجهات هذه الابنية وتحويلها الى مؤسسات تجارية كما هو الحال في منطقة السيمر في البصرة القديمة .

ان هذا الطرح يقودنا الى التساؤل هل هناك امكانية لمواجهة هذا التدهور الحاصل في الابنية التراثية وفي الحقيقة هناك عدة اتجاهات لمواجهة هذه الحالة تأخذ مناهج متعددة وهو ما يطلق عليه بخطوات اعادة التأهيل rehabilitee وتتطلب هذه العملية عدة خطوات مدروسة ومحددة لتنفيذ البرنامج الخاص بالمحافظة على الموروث المعماري وهذا يتحدد بجانبين مهمين وهما عملية الصيانة presser وعملية التطوير development ولغرض بيان مدى اهمية هاتين العمليتين سنتطرق لهما بشيء من التفصيل في ضوء المخطط (٢)

مخطط (٢)

يوضح كيفية المحافظة على الموروث المعماري

١- عملية الصيانة: هدم الغير صالح

الترميم Repair

اعادة البناء Recounts

٢- عملية التطوير: وضع خطة للتطوير

السيطرة على الاستعمالات الجديدة

توعية السكان بأهمية الموروث المعماري

اعلان المنطقة محمية عمرانية

١- عملية الصيانة

قبل اجراء هذه العملية لابد ان نحدد ماهو تراثي وصالح للبقاء وامكانية صيانتة والمحافظة عليه حتى يتسنى لنا تحديد تلك الابنية واعدادها ومواقعها الجغرافية فهناك دور قديمة ذات طراز عادي وغير منسجم ومتناغم مع نسيج المدينة وهو في حقيقته تشويه للواقع المعماري لها ولهذا فان مفهوم الصيانة تتضمن جانبين الاول هو هدم القديم الغير صالح والذي لا يحمل سمات تراثية واضحة المعالم والجانب الاخر هو صيانة الموروث المعماري الصالح للبقاء حيث تجرى عليه عملية الصيانة ومن ثمة حمايته من العوامل انفة الذكر وتتم بأسلوب الترميم repair او اعادة البناء recounts وفق المواصفات الاساسية للبناء ومن ثم حماية تلك الابنية (Worskett 1970 p 7) .

ان اعادة تأهيل الابنية التراثية وفق مواصفاتها الاساسية هو منهج في الحفاظ على الموروث يعود الى زمن وليم موريس (١٨٣٤ - ١٨٩٦) حيث تم الاتفاق على اعتبار مثل هذه الابنية مصادر غير قابلة للتجديد بما يغير في طرازها المعماري لان المكونات المعمارية الشكلية للمبنى هي عناصر تؤدي تعبيراً

ومعنى يفترض احترامه بحيث يمكن تجديد الهيكل البنائي الاصلي للمبنى دون ان يطال ذلك تغييرا له وتشويها فيه (feildin 1979 p79)

ومن خلال ادراك ان الحفاظ على الموروث المعماري هو صراع ضد عوامل الانحلال والانهييار التي يمكن ان تلحق بالابنية والمنشآت فان الهدف يدعونا الى محاربة اسباب الاضرار التي تصيب هذه الابنية والتقليل من تأثيرها وكذلك اطالت عمر هذه الابنية وجعلها قابلة للاستخدام حاضرا ومستقبلا مما يعيد اليها بعض حيويتها ويكون في حضورها اغناء لثقافة المدينة بثناء موروثها المعماري (فتحي ١٩٨٩ ص ١١)

٢- عملية التطوير

وهذه عملية متداخلة وتحتاج الى جهود متظافرة من جهات عديدة من اجل الوصول الى هدف المحافظة على هذا الموروث المعماري الجدير بالاهتمام ويتم ذلك من خلال السيطرة على الاستعمالات الجديدة التي هي من متطلبات التطور الحضاري والمعماري وتتم عملية السيطرة بمنع استعمالات جديدة مجاورة ومؤثرة على الاستعمال القديم او تحل محله او التي لا تتناغم ولا تتسجم مع طبيعة وخصوصية المكان فلا مجال للتنافس في ضوء ضوابط معينة تضعها الدولة عبر مؤسساتها للمحافظة على القديم او ان تظهر ابنية جديدة تكون منسجمة مع الموروث المعماري سواء ببناء وحدات معمارية تستلهم التراث او جزء منه مع الاخذ بنظر الاعتبار متطلبات العصر الجديدة ومع وجود هذه الخطة المتواضعة لابد من الان حملة وطنية لتوعية السكان والمسؤولين عن المدينة في نفس الوقت بأهمية التراث المعماري وهنا يتطلب الامر اعلان منطقة البصرة القديمة على اقل تقدير ان تكون محمية عمرانية على غرار ما معمول به في مدن العالم المتقدم .

ان عملية الصيانة والتطوير يجب ان لاتقف عند هذا الحد وتترك الابنة فارغة او تستخدم لاستخدامات معينة لا تتناسب مع واقع تلك الابنية بل يفترض ان تجرى دراسة يقوم بها مركز متخصص ينشأ في جامعة البصرة خاص برعاية الموروث المعماري والحضاري للمدينة وان يتكفل هذا المركز بإيجاد افضل الوسائل للحد من حالة التدهور في هذه الابنية .

ان اقتراح منطقة البصرة القديمة محمية عمرانية يأتي من عدة عوامل تتمثل في :-

- ١- تركز هذا الموقع بالنسبة الى المدينة .
- ٢- كون هذا الجزء من المدينة هو من بقايا مركز المدينة القديمة وهو اذن موضع تواصل ومعرفة من قبل سكان المدينة ويشكل بعضا من تأريخهم الشخصي فيها .

- ٣- يتضمن هذا الموقع العديد من الابنية الموروثة المتوافقة طرازيا بما يؤهلها لان تشكل مع بعضها البعض موقعا معماريا ذا خصوصية يمثل صورة محدثة هو تقليد الموروث.
- ٤- اننا نريد بذلك خلق حالة من الاحتفال على مستوى المدينة بجزء منها يمثل رمزا للعمارة التقليدية وفي ذلك تأكيد على اهمية الطراز المعماري التقليدي ودعوة الى التعايش والتواصل معه واعادة تفعيله على مستوى الذاكرة الجماعية لسكان المدينة واستعادته بطريقة او بأخرى في الابداع المعماري الحديث .

التوصيات

- ١ تحديد الجهة المسؤولة عن الابنية التراثية في مدينة البصرة وعدم ترك الامور بين دوائر متعددة تضيع الجهود وتتنافر فيما بينها ونفقد نحن جزء مهم من التراث المعماري لمدينتنا وبلدنا .
 - ٢ تخصيص الاموال اللازمة لأجراء الصيانة والتطوير بعد اجراء مسح شامل لكل الابنية التراثية وتحديد اماكنها ووضع اليد عليها ومنع التصرف بها سواء في عملية الهدم او التحويل .
 - ٣ توعية السكان بأهمية التراث المعماري عبر وسائل الاعلام المتعددة .
 - ٤ جعل منطقة البصرة القديمة محمية عمرانية وتحدد مساحيا .
 - ٥ ايجاد استعمالات محددة لهذه الابنية تضمن استمرارية ادامتها من قبل الجهات المستفيدة ويفضل ان يكون الاستخدام على النحو التالي في منطقة البصرة القديمة بالذات:-
- أ- مؤسسات ثقافية وتتضمن انشاء مكتبة تضم تراث مدينة البصرة الثقافي تابع لجامعه البصرة كما هو الحال في الجامعات الاخرى.
- ب- تطوير عمل متحف البصرة ليضم نماذج مصغرة من الابنية التراثية لهذه المدينة .

ت- انشاء نوادي اجتماعية ثقافية على غرار اتحاد الادباء يعنى بالشأن الثقافي البصري وموروثه الحضاري .

ث- تطوير الواجهة المائية لنهر العشار بعد اعادة تأهيله واعادة الحياة لهذا النهر الخالد الذي يضم في ثناياه تأريخ المدينة وحضارتها .

ج- تنظيم الشوارع والازقة الداخلية وانارتها بما يضيفي على منطقة البصرة القديمة طابعا خاصا بها .

٦ دراسة وتطوير الانظمة والقوانين الخاصة بالحفاظ على الابنية التراثية .

٧ شمول المناطق التراثية بحملات تطوير المدن .

المصادر

- ١- ابراهيم، د. محمد عبد العال، الحفاظ على التراث مطلب قومي وحضاري ، مجلة المدينة العربية، العدد ٢٧، لسنة ١٩٨٧ .
- ٢- ابو عياش، عبد الاله وزميله، الاتجاهات المعاصرة في الدراسات الحضرية، الكويت ١٩٧٩ .
- ٣- الاشعب، خالص حسني، المدينة العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ١٩٨٢ .
- ٤- بلدية البصرة، معلومات منشورة ٢٠١٨ .
- ٥- -----، ابعاد الصيانة في المدينة العربية ، مجلة التراث والحضارة ، بغداد ، العدد ٦ لسنة ١٩٨٤ .
- ٦- حسن، محمد خالص رؤوف، مستقبل الاجزاء القديمة في مراكز المدن في العراق ، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، العدد ٢٦ كانون الثاني ١٩٩١ .
- ٧- حسين ، عبد الرزاق عباس، جغرافية المدن ، مطبعة اسعد ، بغداد ١٩٧٦ .
- ٨- السماك ، محمد ازهر واخرون، استخدامات الارض بين النظرية والتطبيق، جامعه الموصل ١٩٨٥ .
- ٩- العزاوي ، عباس ، تأريخ العراق بين الاحتلالين ، بغداد ١٩٧٧ .
- ١٠- فتحي ، احسان، تراثنا المعماري والعمارة العربية المعاصرة ، مجلة البناء الحضاري ، العدد ٩ لسنة ١٩٨٩ .
- ١١- قانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٧٩ ، الوقائع العراقية ، العدد ٢٧٢٠ في ١٩٧٩/٧/٩ .
- ١٢- كمونه ، حيدر عبد الرزاق، مشكلة المحافظة على المواقع والابنية التراثية في المدينة العربية، حلول ومعالجات، مجلة التراث والحضارة ، بغداد ، العدد ٨ لسنة ١٩٨٦ .
- ١٣- النبهاني، خليفة بن محمد، البصرة ، التحفة النبهانية في تأريخ الجزى يرة العربية، جامعة البصرة ١٩٨٠ .
- ١٤- الهذول ، صالح، فن العمارة بين التراث والمعاصرة، مجلة مجتمع وعمران، تونس، العدد ٩ لسنة ١٩٨٧ .
- ١٥- الهيتي ، صالح فليح حسن الوظيفة السكنية لمدينة بغداد الكبرى، بغداد ١٩٧٣ .

المصادر الاجنبية

- 1- Feildin, Bernard (introduction to conservation) Unesco press, Rome , 1979 .
- 2- Worskett, Roy (the character of towns—an approach to conservation) Architectural press, London , 1970, second edition.

